المنظور النيوروسيكولوجي لهيمنة الجندر الأنثوي

د. شيماء محمد جادالله
مدرس علم النفس العصبي الإكلينيكي-كلية الآداب-جامعة الوادي الجديد

ملخص:

تقوم هذه الورقة البحثية بالنظر لتأثير دراسة الجندر الأنثوي من المنظور النيوروسيكولوجي. وذلك من خلال تحليل بعض الدراسات داخل سياق النظرية النسائية وإشكالياتها، ومن ثم تنظير تلك التحليلات داخل المنظور النيوروسيكولوجي. بحيث تتخذ هذه الورقة البحثية منهجا تحليليا وصفيا، يلقى الضوء على إحدى الظواهر والاشكاليات البحثية المعاصرة وهي نموذج الهيمنة للجندر الأنثوي المتأثرة بتطور النظرية النسوية وتصاعد دراسات الجندر. وهيمنة الجندر هو جملة من التساؤلات والنقاشات الخاصة بالمقولات السائدة عن صورة الرجل والمرأة في المجتمع. فتعد دراسات الجندر وقضاياه الراهنة من أهم الدراسات البحثية في تناولها بالمناقشة والتحليل وإعادة النقد للعديد من القضايا الإنسانية –وما تتصف به من الآونة المعاصرة من مناحي مفاهيمية–من أهم العلوم التي قامت بدراسة العلاقة الإنسانية المتصفة بالاستمرارية المطلقة للمكون المجتمعي (الرجل والمرأة). تهتم هذه الورقة بصورة متخصصة بقضية الهيمنة للجندر الأنثوي المنصبة داخل نقد المشكلات المجتمعية العربية بشكل عام، ومشكلات المجتمع المصري على الأخص.

الكلمات المفتاحية: الجندر الأنثوي، الهيمنة، المنظور النيوروسيكولوجي.

1- مفهوم الجندر والهيمنة

وفقا لـ آن أوكلي (Ann Rosamund Oakley) التي أدخلت المصطلح إلى علم الاجتماع (منذ نشر كتابها Sex, gender and society عام 1972م) سنجد أنها توضح أن كلمة (Sex) تشير إلى التقسيم البيولوجي بين الذكر والأنثى، بينما تشير إلى الجندر (Gender) إلى الذكورة والأنوثة (التقسيمات الموازية والمتكافئة اجتماعياً) (Oakley, 1972). ويوضح كل من ويست وزيمرمان (West & Zimmerman, 1987) في مقالهما ممارسة الجندر (Doing gender) في محاولة لتسليط الضوء على الفرق بين "الجنس وتصنيف الجنس والجندر" أن الجندر "نشاط

لإدارة السلوك في ضوء المفاهيم المعيارية للمواقف والأنشطة المناسبة لفئة الجنس، فإما أن تضفي الشرعية على هذه العضوية أو تقوضها، وذلك وفقًا للمعايير التي حددها المجتمع" (West & Zimmerman, 1987: 127). وناقش جايل روبين (Gayle Rubin, 1975) أنه تم تشويه الجندر للجنسين، نظرًا لأنه يتم بناؤه اجتماعيًا. تكلم أيضا عن الهيمنة التي تم دمجها في نظام الجندر (نظام يكون فيه الرجل هو المعيار، مما يجعل الأنثى تابعه له) (Månsson 2010; Miegel & Johansson 2002) ويتم وضع النساء فيه كنوع جندر ثانوي ويتم وصفهن وتشبهن بسمات أضعف جسديًا وفكريا بالمجتمعات وبمختلف الثقافات. ووفقا لكونيل وميسرشميدت في مقالهما "الذكورة المهيمنة: إعادة التفكير في المفهوم" Hegemonic Masculinity: Rethinking the Concept أنه رغم تفرع الجندر إلى أقسام فرعية من الذكورة والأنوثة، إلا أن الذكورة المهيمنة[1] تقف على رأس هذا التقسيم الهرمي للذكورة والأنوثة، وهى مثال للرجولة، وتشمل جميع السمات المطلوبة لدى الذكور التي يتوقع أن يصل إليها كل رجل، وعلى الرغم من كونها نموذجية، إلا أن المجموعة التي تمثل الذكورة المهيمنة أقلية بين الذكور (Connell, & Messerschmidt, 2005: 846). ولخص سيبرز مفهوم الذكورية باعتبارها "مكانة اجتماعية انبثقت من مجموعة ممارسات للذكور، وتعد أثر للتجسيد الجماعي لتلك الممارسات على الأفراد والعلاقات والبناءات المؤسسية وعلاقات الهيمنة الكلية" (Schippers, 2007: 87). وتبنى تلك الممارسات على أساس التسلط والقوة (راجع دراسة Donaldson, 1993). ويتساوى الذكورة غير المهيمنة والأنوثة على حد سواء، عند مقارنتهم بالذكورة المهيمنة (Schippers 2007; Connell & Messerschmidt, 2005). وقد تتغير صفات الهيمنة، إذن، تبعا للتباين الاقتصادي والسياسي والاجتماعي عبر المجموعات والمجتمعات (Messerschmidt, 2012).

1- <u>الأنوثة المهيمنة</u>

ظهر نموذج "الأنوثة المهيمنة" التي تتكون من "مزيج من الأدوار الأنثوية التقليدية وغير التقليدية للنساء" مما أحدث بلبلة حول "المكانة غير المتماثلة للذكورة والأنوثة في النظام الجندري الأبوي"، بالرغم من أن هذا المفهوم "لا تترك مجالً لتحليل التسلسلات الهرمية للأنوثة، ولا توضح

[1] Hegemonic masculinity

وضع النساء اللائي يمارسنها" (Connell & Messerschmidt, 2005). ويجادل سيبرز بقوله "أن العلاقة بين الرجل والمرأة تكاملية" ويكمل بقوله "أن التفاعلات التكاملية" توفر الأساس المنطقي الشرعي للعلاقات الاجتماعية بما يضمن صعود الذكور وهيمنتهم"، وفى رأيه أن "الأنوثة التي تهدد هيمنة الرجل الاجتماعية "انوثة منبوذة"[2] (Schippers, 2007) التي تدخل حيز التنفيذ عندما تمتلك النساء سمات ذكورية غير مقبولة اجتماعيًا مما يجعلهن عرضه للوصم أو الإدانة. ووضع مسمى أقل حدة "الأنوثة البديلة" (Schippers, 2007: 98) وأكد على أنها لا يمكن أن تحدث إلا داخل سياق محلي، أو ثقافة محددة، وليس داخل ثقافة بأكملها (Finley, 2010; Schippers, 2007). ثم جاء نموذج برنتيس وكارانزا ليوضح السمات الجندرية التي تعكس المعايير الاجتماعية المعاصرة السائدة بالولايات المتحدة وأسماها "السمات الجندرية المميزة" (Schippers, 2007 ,p. 269) فالرجل له دور أحادي الجانب ومستقر في المجتمع مبني على القوة، والقيادة، والحزم، والاعتماد على الذات" (Prentice & Carranza, 2002).

1- <u>نيوروسيكولوجيا الجندر: هل يختلف البناء العصبي باختلاف الجندر؟</u>

ساعدت أدوات التصوير الدماغي التي تتيح دراسة البنية الحية للدماغ ورصد وظائفه، وتحديد الفروق بين الرجال والنساء في الفسيولوجيا العصبية والمعالجة المعرفية والوجدانية (Bao, & Swaab, 2010; McCarthy, Arnold, Ball, Blaustein, & De Vries, 2012)، إلا أنه يواصل عدد كبير من الباحثين تجاهل "الإناث" ودراسة الذكور فقط لأسباب متعددة منها: (1) عدم وعي، (2) نقص التمويل الكافي لفحص كلا الجنسين، (3) لم تجد أغلب الدراسات أي فروق جنسية كبيرة في نموذج معين أو اضطراب، وبالتالي ليست هناك حاجة لتشمل كل من الذكور والإناث. وأخيرا، (4) يرى مجموعة من المنظرين أن هذا الخط من الاستقصاء (أي، البحث عن الفروق بين الجنسين في الدماغ والعمليات المعرفية) منحازة بطبيعتها. وتسهم تلك العوامل في وضع بعض الصور النمطية غير الصحيحة لتؤدي إلى زيادة عدم المساواة بين الجنسين (على سبيل المثال، دراسة Eagly, & Riger, 2012; Eagly, Eaton, Rose, Riger, & McHugh, 2014) ونذكر هنا أهم الاختلافات النيوروسيكولوجية الواضحة باختلاف الجندر فيما يلي:

[2] pariah femininities

الجندر وحجم الدماغ: إن أحد أكثر نتائج اتفاقا ببحوث التصوير العصبي هو أن الذكور، في المتوسط، لديهم حجم دماغي إجمالي أكبر من الإناث بنسبة 10٪ تقريبًا (راجع دراسات كل من Giedd, 2004; Nopoulos et al., 2000; Reiss et al., 1996). بالإضافة إلى أنه بعد حساب زيادة حجم المخ، وجد اختلافات نسبية في أنواع الأنسجة فكانت نسبة المادة البيضاء لدى الذكور أعلى من النساء، في حين أن النساء لديهن نسبة أعلى بالمادة الرمادية (Gur et al., 1999; Filipek et al., 1994). وببحث الأسس الثنائية الجندرية3 بنية المخ ليس في البالغين فقط ولكنه وجد أيضًا في حديثي الولادة (حجم المخ) (Gilmore et al., 2007)، وعند الرضع البالغ عمرهم 1 و2 عامًا، وطوال فترة الطفولة (حجم الدماغ) (Giedd et al., 1999).

بنية الفص الدماغي الأمامي باختلاف الجندر: في دراسة أجرها وود وآخرين (Wood, et al. 2008) وجدوا أن الإناث البالغات لديهن (1) التلفيف المستقيم في القشرة الأمامية البطنية ذات حجم أكبر نسبيًا من الذكور (منطقة دماغية يفترض أنها تضبط الوظيفة الاجتماعية). ولاحظ أيضًا أنه كلما كان التلفيف المستقيم أكبرًا، كان الأداء أفضل على اختبار الوظيفة الاجتماعية. (2) وارتبطت درجات الأنوثة المرتفعة عند تقييم الجندر عند الذكور بأحجام أكبر لتلك المنطقة. وكان هناك اختلاف آخر (3) الإناث أظهرت حجمًا تناسبيًا أكبر للمادة الرمادية في بعض المناطق (البطامة putamen، المهاد). ووجدنا أيضًا أن الإناث قد أظهرن نسبة أكبر من المادة الرمادية في بعض المناطق تحت القشرية (النواة المذيلة، والبطامة، والمهاد)، مما يؤكد على نتائج البحوث السابقة من مناطق ذات حجم أكبر بالإناث (مثل Giedd, 2004). وأظهرت أبحاث (منها Giedd, 2004; Sowell et al., 2002; Caviness et al., 1996) عن بنية الدماغ لدى الإناث بالطفولة زيادة في حجم النواة المذيلة. ومع ذلك، فقد أظهرت الدراسات الحديثة التي أجريت على البالغين (منها دراسة Rijpkema et al., 2012) والأطفال (مثل دراسة BDCG, 2012) أن الذكور لديهم حجم أكبر بشكل عام في البطامة (مع عدم وجود فروق في الجنس في المذنبة أو المهاد).

1- المناقشة

[3] basic sexual dimorphism

من مراجعه الباحثة للتراث النيوروسيكولوجية وجدت أن (1) عدم الفهم الواضح لمفهوم الأنوثة بشكل عام، وأيضا مصطلح الأنوثة المهيمنة الخادع بشكل خاص. (2) بينما تزايد البحث لفهم الجندر الذكوري، وفى المقابل لم يتم إيلاء اهتمام مماثل للأنوثة. (3) معظم الأبحاث حول كيف يمكن أن نفهم الجندر، ولا سيما الهيمنة بين الجنسين، لم تدرج اعتباراً محدداً ومفصلاً للأنوثة كمفهوم، ورغم تركيز كونيل في أعمالها (Carrigan, Connell, & Lee, 1985; Connell, 1987; 1995) على التأسيس النظري لأشكال الجندر المهيمن اجتماعيًا، إلا أنها بشكل أو بآخر ركزت على الذكورة بشدة وعلى أشكال الهيمنة، وتوضيح الأنوثة بشكل وجيز ومطنب عند الحديث عن جندر الذكورة. فجميع المفاهيم السابقة للأنوثة تركز على علاقتها مع الذكورة.

وتقترح أن الأنوثة في المجتمع المعاصر لا يتم تحديدها بالضرورة من خلال علاقتها بالذكورة. وأري أن الأنوثة المهيمنة يمكن أن توجد في حد ذاتها –بغض النظر عن علاقتها بالذكورة. والهيمنة كمصطلح ظهرت مع سوء وضع المرأة في الغرب لذا جاءت الحركة النسوية التي أثرت على العالم ككل ومنه العالم العربي، رغم أن المرأة العربية شرع لها الإسلام كافة الحقوق الإنسانية، وجاء ذلك واضح جلى في مساواة الجندر في آيات عده منها ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب، 35). وبمراجعه البناء النيوروسيكولوجي للجندر الأنثوي لفهم تمايز الأدوار الذي أوضحته مجموع دراساته البكر والقليلة العدد نسبيا (منها Mendrek, 2015; Belfi, Conrad, Dawson, & Nopoulos, 2014). وجدت أن الله عز وجل جعل أحد مكونات البنية الدماغية للذكور أكبر منه عند الإناث، وهي المادة البيضاء (على سبيل المثال Giedd, 2004; Nopoulos et al., 2000; Reiss et al., 1996) والتي لها دورًا حاسمًا في تنظيم الشبكات العصبية الموزعة بالدماغ كأساس بنائي لتطور السلوك البشري (Catani, et al., 2012; Mesulam, 1990)، فهي ترتبط بمجموعة واسعة من الوظائف المعرفية منها: العمليات الحسابية (Matejko & Ansari, 2015)، والأداء الموسيقي (Ullén, 2009)، وتعد مؤشرًا فارقًا عصبيًا وظيفيًا للأداء المعرفي والوجداني (Catani et al. 2012;

Schmahmann & Pandya, 2006; Mesulam 1990)، وتسهم بشكل كبير في تحديد نسبة الذكاء البشرية حيث تعطي الاختلاف بيننا وبين ثدييات أخرى مثل الحيتان والأفيال التي تفتقر لنسبة كبيرة من المادة البيضاء الدماغية (ارجع لدراسة Roth & Dicke 2005). مما يجعل الذكور يمتازون بسرعة نقل الإشارات العصبية إلى بقية أعضاء الجسم، وبالتالي فهم أسرع في اتخاذ القرار، وأصوب في التفكير. ويدعم ذلك كبر حجم الفص الدماغي الأمامي لديهم مقارنة بالإناث، والذي من وظائفه الوظائف التنفيذية التي تلعب دوراً مهمًا في الاحتفاظ بالذكريات التي لا تعتمد على مهام لمدى طويل، وغالبًا تكون هذه الذكريات مرتبطة بعواطف أو مشاعر مستمدة من مدخلات جهاز الدماغ الحوفي حيث يقوم الفص الأمامي بتعديل هذه المشاعر لتتوافق بشكل عام مع المبادئ المقبولة اجتماعيًا. مما يجعل الذكور أكثر تحكما في مشاعرهم وانفعالاتهم وفقا للسياق أثناء اتخاذ القرار.

وبمراجعة مورفولوجيا الدماغ الأنثوي، لوحظ التوزيع الموضعي المتزايد نسبياً للمادة الرمادية في ثلاث من الفصوص الدماغية (لم يكن حجم المادة الرمادية بالفص الصدغي أكبر نسبيًا عندهن) ويعد ذلك منبأ بالدور الجندري الأنثوي (وليس الجنس الأنثوي). وكلما زادت درجة الأنوثة زاد حجم الفص الصدغي (Giedd et al., 1999). مما يجعلهن يتمتعن بالقدرة على أداء الكثير من المهام في وقت واحد واكتساب المعلومات المجردة (Draganski et al., 2006)، والمهارات الحركية (Draganski et al., 2004)، والمرونة العضلية (Colcombe et al., 2006)، والمهارات المعرفية (Ilg et al., 2008). ولقد أثبتت الدراسات المستعرضة أن الاختلافات في المادة الرمادية الموضعية يرتبط بالقدرات الأدائية (Milad et al., 2005; Mechelli et al., 2004). ويبدو أن كثافة الخلايا (حجم المادة الرمادية) في منطقة معينة من الدماغ ترتبط بشكل إيجابي مع مختلف القدرات والمهارات (Kolb & Whishaw, 2003) والتحكم في العضلات، والإدراك الحسي مثل الرؤية والسمع، والذاكرة، والعواطف، والكلام(Miller, Alston, & Corsellis, 1980) ليؤكد على تمتع الجندر الأنثوي بالعديد من المواهب والقدرات خاصة الأدائية الحركية، فياضة المشاعر، القدرة الكلامية التي تساعدها على التواصل الفعال، بزيادة حجم المادة الرمادية بالفص الصدغي خاصة أدى إلى رهف القدرة السمعية والجمالية لديهن، وتمتعهن بسعة ذاكرة أكبر من الذكور (أظهرته

دراسات الباثولوجيا الإكلينيكية للأمراض النفسية)، بمعني أنها تفقد المعلومات بشكل أقل عن الذكور خاصة المعلومات بالمواقف ذات الطابع الوجداني (محملة بالمشاعر والعواطف). بجانب ذلك خصص الله لهن التلفيف المستقيم بالقشرة الدماغية الأمامية البطنية بحجم أكبر نسبيًا من الذكور لضبط الدور الأنثوي والوظيفة الاجتماعية لديهن واستمراريتها. وأيضا تفردها بهرموناتها الجنسية المميزة والضابطة لكل ما يرتبط بحالتها الانفعالية والوجدانية. أما فيما يختص بالهيمنة الأنثوية أو الذكورة غير المهيمنة تحدث خللا في هذا التناسق الفريد العصبي–الهرموني–النفسي عند تأصله في سمات الشخصية (بأساليب التنشئة الأسرية غير الصحيحة). ويحدث خللا في مستويات هرمون تستوستيرون قبل الولادة وبالتالي على سلوك الجندر عند الأطفال (وفقا Belfi, et al., 2014; Bourne and Maxwell, 2010; Auyeung et al., 2009) وهذا التأثير كان جلياً بالنسبة للفتيات، ولكن ليس للفتيان (Peper et al., 2009; Hines et al., 2002) حيث أظهرت الفتيات، في سن ما قبل المدرسة، مستويات أعلى لهرمون تستوستيرون سلوك أكثر ذكورية.

ويتضح مما سبق أن لكل من الذكورة والأنوثة أدورا محدده، وتتكامل كل منها في خدمة الأسرة والمجتمع، فلا توجد هيمنة لأحد الجنسين على الآخر. ولكن لكل جندر مجموعة من الأدوار تخصه من الناحية العصبية والنفسية.

قائمة المراجع العربية والأجنبية:

Auyeung B, Baron–Cohen S, Ashwin E, Knickmeyer R, Taylor K, Hackett G, & Hines, M. (2009). Fetal testosterone predicts sexually differentiated childhood behavior in girls and in boys. Psychol Sci.; 20 (2):144–8.

Belfi, AM, Conrad, AL, Dawson, J & Nopoulos P (2014). Masculinity/Femininity predicts brain volumes in normal healthy children. Dev Neuropsychol; 39 (1): 25–36.

Bourne VJ, & Maxwell AM (2010). Examining the sex difference in

lateralization for processing facial emotion: does biological sex or psychological gender identity matter? Neuropsychologia; 48 (5): 1289-94.

Connell, R (1987). Gender and power. Polity Press, 1987.

Connell, RW & Messerschmidt, JW (2005). "Hegemonic masculinity rethinking the concept." Gender & society 19.6: 829-859.

Donaldson, M (1993). "What is hegemonic masculinity?" Theory and society 22 (5): 643-657.

Finley, NJ (2010). "Skating femininity: Gender maneuvering in women's roller derby." Journal of contemporary ethnography; 39 (4): 359-387.

Giedd JN, Blumenthal J, Jeffries NO, Castellanos FX, Liu H, Zijdenbos A, Paus T, Evans AC, Rapoport JL. (1999). Brain development during childhood and adolescence: a longitudinal MRI study. Nat Neurosci.; 2 (10): 861-3.

Hines M, Golombok S, Rust J, Johnston KJ, Golding J; Avon Longitudinal Study of Parents and Children Study Team. (2002). Testosterone during pregnancy and gender role behavior of preschool children: a longitudinal, population study. Child Dev.; 73 (6): 1678-87.

Kolb B, Whishaw IQ (2003). Fundamentals of human neuropsychology (5th ed.). New York: Worth Publishing. p. 49. .

Matejko AA, Ansari D. Drawing connections between white matter and numerical and mathematical cognition: a literature review. Neurosci Biobehav Rev 48: 35–52, 2015.

Mendrek, A (2015). Is It Important to Consider Sex and Gender in Neurocognitive Studies? Front Psychiatry; 6: 83.

Messerschmidt, JW (2012). "Engendering gendered knowledge: appropriation of hegemonic masculinity." Assessing the academic Men and Masculinities: 1097184X11428384.

Oakley, A (1972). Sex, gender and society. Aldershot: Arena, published in association with New Society. ISBN 9781857421712.

Prentice, DA & Carranza E. (2002). "What women and men should allowed to be, and don't have to be: The be, shouldn't be, are Psychology of Women contents of prescriptive gender stereotypes." Quarterly 26 (4): 269–281.

Schippers, M (2007). "Recovering the feminine other: Masculinity, hegemony." Theory and society; 36 (1): 85– femininity, and gender 102.

West, C & Zimmerman, DH (1987). "Doing gender." Gender & society 1.2: 125– 151.

Neuroscience of female gender dominance

Shimaa M. Gad –Allah

Dep. Of Psychology– New Vally University

Abstract

This paper examines the impact of gender studies from a neuro-ecological perspective. Through the analysis of some studies within the context of women's theory and problems, and then the analysis of these analyzes within the perspective of neurosis. So that this paper takes a descriptive and analytical approach, which sheds light on one of the contemporary phenomena and problems of research, namely the dominance of female gender influenced by the evolution of feminist theory and the rise of gender studies. Gender dominance is a series of questions and debates about the prevailing attitudes about the image of men and women in society. The study of gender and its current issues is one of the most important research studies in dealing with the discussion, analysis and criticism of many humanitarian issues - and contemporary conceptual aspects - one of the most important sciences that studied the human relationship characterized by the absolute continuity of the social component (men and women). This paper is specialized in the issue of the dominance of the female gender, which established within the critique of the Arab societal problems in general, and the problems of Egyptian society in particular.

Keywords: Feminine Gender, Hegemony, Neuroscience Perspective.